معا إلى الله

الحلقة الثانية – الجزء الأول

للشيخ أيمن الظواهري



بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

أيها الإخوة المسلمون في كل مكان السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد

كنت في الحلقة الأولى قد ذكرت ردًا عقليًا -موجزًا مبسطًا- على الملاحدة النفاة.

وفي هذه الحلقة أواصل بقية الرد، فأذكر -إن شاء الله- موجزًا عن الاستدلال الفطري، والاستدلال بمخلوقات الله، والاستدلال بالوحي المعجز.

أما عن الاستدلال الفطري فهو من أقوى الأدلة على وجود المولى سبحانه، وهو في الحقيقة أقوى من الاستدلال العقلي، لأن كل إنسان يجده مركوزًا في نفسه، وإنما يستخدم الاستدلال العقلي لدفع وساوس النفس وشبه المجادل. ولذلك أخبرنا القرآن الكريم بأن الرسل احتجوا على كفار أقوامهم بهذا، فقال سبحانه:

﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب (9) قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض﴾.

وقال سبحانه: ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون (61) الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم (62) ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾، وقال سبحانه: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾.

أما الاستدلال على وجود الخالق بالتفكر في مخلوقاته، فباب عظيم من أبواب الإيمان، يكفي النظر في اختلاف بصمات البشر واختلاف حدقة العين والحمض النووي، ومجرات السماوات البليونية وخلايا الإنسان المجهرية، وكلها آيات لا يجحدها إلا ظلوم كفار، قال الحق سبحانه:

﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار (32) وسخر لكم الشمس والقمر دآئبين وسخر لكم الليل والنهار (33) وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾

أما عن الاستدلال بالوحي المعجز، فقد أنزل الله سبحانه على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- كتابًا معجزًا، ما زال يتحدى الناس حتى الآن أن يأتوا بمثله، ولم يأتوا، ولا زال التحدي قائمًا.

وفي هذا الكتاب آيات ومعجزات تدل على إعجازه منها مثلًا أنه أخبر بانتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم، وتراهن أبو بكر –رضي الله عنه– مع قريش على ذلك، وكان أمرًا مشتهرًا شائعًا، ولا يمكن إنكار وقوعه.

ومنها مثلًا أن القرآن تنبأ أن أبا جهل وامرأته سيدخلان النار، لأنهما سيموتان كافرين، وكان يمكن لأبي جهل أن يتحدى القرآن بأن يعلن إسلامه، ولكنه منع من ذلك، وتحققت نبوءة القرآن فيه.

وكذلك جاءت السنة النبوية بمعجزات عديدة منها مثلًا ما جاء في الصحيحين وغيرهما أنه لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمين قومًا فطس الأنوف وجوههم كأنها المجان المطرقة ينتعلون الشعر، وقد تحقق هذا في القرن السابع الهجري بقتال المسلمين للتتار، بينما كتب الأحاديث كتبت في القرنين الثاني والثالث، وهي موثقة ومحفوظة، ونسخها الأصلية كثير منها موجود، ولها نسخ كثيرة محفوظة من قبل القرن السابع، فلا يمكن الطعن فيها بالتزوير، أو أن هذا الحديث كتب بعد القرن السابع.

ومنها أيضًا ما أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: أن القسطنطينية تفتح قبل روما، وقد حدث، ونحن في انتظار فتح روما إن شاء الله.

ومنها ما ورد في الصحيحين وغيرهما: أنه لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى. وقد خرجت هذه النار فعلًا في سنة أربع وخمسين وستمائة، ووثقها المؤرخون ابن كثير وأبو شامة –رحمهما الله– وغيرهما.

ومنها حديث وبر بن يحنس الخزاعي في المعجم الأوسط للطبراني وفي تاريخ صنعاء للحافظ الرازي، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– أرسله واليًا على صنعاء، وأمره أن يبني فيها مسجدًا في بستان باذان من الصخرة التي في أصل قصر غمدان مستقبلًا به جبل ضين، وقبلة المسجد بهذه الأوصاف تنطبق على الكعبة تمامًا وبدقة، وهذا أمر لم يكن تحديده ممكنًا في هذا الزمان بتلك الدقة، إلا بوحي معجز، وقد سجل الشيخ عبد المجيد الزنداني –جزاه الله خيرًا– هذه المعجزة في شريط فيديو.

فهذه أمثلة قليلة من معجزات كثيرة جاء بها الوحي المعجز المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يستطيع الملحد لها جوابًا. وصدق الله العظيم: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾.

وأكتفي بهذا القدر الموجز المبسط في الرد على الملاحدة النفاة، وأنتقل للقسم الثاني من الجزء الأول وهو عن لوازم مرتبطة بعقيدة الملحدين الماديين.

***

وأشير هنا باختصار لبعض لوازم الإلحاد:

فأولها: الجبرية المادية

وثانيها: النسبية القيمية

وثالثها: ما بعد الحداثة والعبث.

***

فأما الجبرية المادية

فإن كل ما في الكون -عند الماديين- ما هو إلا تفاعلات كيمائية فيزيائية تعبر عن نفسها في صورة سلوك أو كلام أو أفكار أو حركة كواكب أو غيرها.

وكل هذه التصرفات والأفعال والأحداث يمكن التنبؤ بها، بناءً على قوانين المادة الصارمة، وبالتالي فليس هناك أية قيمة غير مادية في هذا الوجود، لأن كل الأفكار والعقائد والتصورات ما هي إلا تفاعلات مادية.

وبالتالي فالجميع متساو، وليس هناك حق وباطل، ويجب قبول كل شيء على أنه واقع، فليس هناك من معيار يزن الحق والباطل.

وبالتالي ليس للإنسان المادي حرية أو اختيار أو إرادة منفصلة عن الكون المادي، الذي يسير كل شيء، ويفرض قوانينه على كل شيء، والإنسان الذي تنتجه هذه المادة هو إنسان آدم سميث الذي تسيره قوانين السوق، أو إنسان ماركس الذي تتحكم فيه الحتمية الاقتصادية، أو إنسان فرويد وبافلوف الذي تتحكم فيه شهوة الجنس وإفرازات غدده.

فالإنسان في التفكير المادي هو شيء متساو مع أية حشرة أو شجرة أو صخرة، التي قد تختلف معه في تعقيد التركيب، ولكن يسري على الجميع نفس القوانين المادية دون تفرقة.

وبالتالي فهو مجرد كائن لا استقلال له عن النظام الطبيعي المادي.

وبالتالي فعقل الإنسان ليست له أية فعالية، فوجوده ليس ضرورياً لحركة الكون. بل إن العقل والفكر والأحاسيس هي آثار من آثار حركة المادة وتفاعلاتها.

ومن ثم، لا يوجد بالنسبة للعقل المادي خير وشر أو عدل وظلم أو نبل وانحطاط أو أخلاق وفجور، فكل هذه تفاعلات لقوانين واحدة.

فمثلًا ماركس لما كان يتحدث عن انتصار الطبقات الكادحة الحتمي على الرأسمالية، لم يكن يتحدث من باب نصرة المظلومين على الظالمين، بل من باب حتمية التاريخ، التي كان يزعم أنها ستنقل المجتمع الإقطاعي للمجتمع الرأسمالي ثم للمجتمع الاشتراكي ثم للمجتمع الشيوعي ونهاية التاريخ.

والحمد لله أن رأينا نهاية تاريخهم، فقد هرولوا جميعًا اليوم للرأسمالية، ولكن بصورة فاسدة مملوءة بالرشوة والفساد والانحلال.

وأذكر أني لما كنت في السجن في داغستان كان المساجين يحدثونني عن أن لكل قضية ثمن، فإذا دفع المتهم الثمن أو الرشوة المناسبة حصل على البراءة، وإلا فمصيره السجن، حتى أن المترجم في قضيتنا في المحكمة -الذي كان أحد أفراد عصابة الرشوة- سألنا مرةً: أتعرفون لماذا يؤجل القاضي الحكم من

جلسة لجلسة؟ لأن أصحابكم لم يدفعوا الرشوة حتى الآن، فكلموهم ليتحركوا قبل فوات الأوان. ولما دفعت الرشوة أخذ كل شريك في العصابة نصيبه، بما فيهم ممثل الادعاء، وحصلنا على ستة أشهر سجنًا بدلًا من الثلاث سنوات التي كان يطالب بها ممثل الادعاء، وبناءً على الرشوة لم يعترض ممثل الادعاء على الحكم.

وفي أحد الأيام رجع أحد نزلاء زنزانتنا من المحكمة حزينًا، فقد حكم عليه بالسجن لخمسة وعشرين سنة، فذهبت إليه لأعزيه وأصبره، فهمس لي: أتعرف لماذا حكم علي؟ فقلت: لماذا؟ قال: لأن أخي تأخر في دفع الرشوة للقاضي.

وعن قريب –إن شاء الله– نرى نهاية الرأسمالية بإذن الله وعونه وتوفيقه.

الفيلسوف الفرنسي ميشيل أونفري:

ونرى أن حضارتنا تنهار، ولا أقول أن هذا جيد أو غير جيد،

فقط أشير إلى أننا لن نفهم العدمية التي نعيشها، إلا إذا استوعبنا أن هذه الحضارة وصلت لنهاية المطاف،

لأنها لم تعد تنتج شيئا.

الحضارة جسد حي، ومن الطبيعي أن نعلن الحداد على الشيء الذي لم يعد موجودًا، حضارات أخرى على استعداد، كالإسلام فهو حضارة بلا حدود.

ولم يعد بوسعنا فعل شيء، دائما أستعمل مثال التيتانك الذي يغرق، فلنكن أنيقين، مع ابتسامة عريضة، ولنشرب النبيذ الجيد مع من نحب، والقارب يغرق فلا معنى لو ضع سدادات.

فالمقصد؛ أن هذا الكون والوجود –في عقيدة الملحدين الماديين– ما هو إلا ذرات وإلكترونات وجسيمات وشحنات وإشعاعات وليس إلا.

وهذا هو الوجه البشع للملحدين النفاة، الذي يحرصون على إخفائه.

فإذا سمعت الملحدين النفاة يتحدثون عن الحرية والمساواة وحقوق الإنسان والانعتاق والعدالة والاضطهاد ... إلخ، وما أكثر ما يتحدثون عن ذلك، فاعلم أنهم كاذبون، يكذبون عليك أو على أنفسهم، أو على الاثنين معًا. لأنهم لا يتحدثون عن أن عقيدتهم مادية جبرية قهرية تخضع الحجر والبشر لقوانين الطبيعة، التي لا تعرف خلقًا ولا قيمًا ولا رحمةً ولا شفقةً، فحسب عقيدتهم، كل أفعالهم وتصرفاتهم هم مجبورون عليها، كما أن خصومهم –في زعمهم– مجبورون بنفس القوانين المادية على كل أفكارهم وتصرفاتهم، ولا فرق بين هذا وذاك.

وإذا أردت أن تكشف حقيقة الملحد، فاسأله عن مرجعيته الفكرية، وقد يخادعك ويقول لك العقل. فلا تنخدع بخدعته، ودقق معه في السؤال ما هي مرجعية هذا الكون؟ فحينئذ يكشف عن وجهه الحقيقي.

وإذا كنت أيها المسلم المؤمن تعبد الله الواحد الأحد الفرد الصمد الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، فإنه يعبد قانون الطرد المركزي، وقوانين تجاذب وتدافع الشحنات، وجاذبية نيوتن، ونسبية إينشتاين وقوانين الميكانيكا الحرارية والديناميكا والاستاتيكا ليس إلا.

وأنه لما أبى أن يكون عبدًا لله الرحمن الرحيم البر الرؤوف صار شيئًا حشريًا حجريًا شجريًا كهربيًا مغناطيسيًا.

وقد تسمع من الماركسيين أنهم يتحدثون عن الماركسية الإنسانية، أو أن الاشتراكية ذات نزعة إنسانية، وأنهم مع المستضعفين والمسحوقين والمظلومين إلى آخر هذه الشعارات، ولكن دقق معهم ومع العقائديين فيهم، وليس مع دهمائهم الببغاوات، فسيسقط القناع، وتكتشف حقيقتهم الجبرية المادية.

وهذه الشعارات إما أنهم يستخدمونها لجذب الأتباع أو لخداع الجماهير أو حتى لخداع أنفسهم، أنه ما زال فيهم بقية من إنسانية، ولكن حقيقة عقيدتهم تأبى ذلك.

ونفس هذا التناقض يعيشه الماديون من غير الماركسيين، الذين يزعمون أن لهم قيمًا إنسانيةً أو أخلاقيةً.

وإذا حاصرت المادي بهذا ورفض، فقل له: إن رفضك هذا من أقوى الأدلة على بطلان عقيدتك، لأنك ما زال فيك بقية من إنسانية ترفض الجبرية المادية.

وإذا قال لك: إني أنا شخصيًا لي قيمي الأخلاقية، فقل له: وما رأيك بأخيك المادي الذي يرفض الأخلاق، بأي حجة تحتج عليه؟

فإن قيل إننا رأينا شيوعيين يضحون ويعذبون ويقتلون، فالجواب نعم: وهذا يدل على تناقضهم في سلوكهم مع عقيدتهم، وفي المقابل كان هناك شيوعيون وماديون في غاية الانتهازية الأخلاقية، وكلا السلوكين دفعا بعضًا من الماديين للشك في الإلحاد، والتوبة منه كما سنرى إن شاء الله.

فقد رفضوا هذا الانحطاط الخلقي، الذي تبرره المادية الجبرية الملحدة، ورفضوا هذا الشذوذ الفكري، الذي يسوي بين الحجر والشجر وبين الإنسان والنفس والروح والعقل والأخلاق والمثل.

ولما ظهرت الداروينية تلقفها الماديون، مع أن داروين لم يكن ينكر وجود الله، ولكنه كان علمانيًا يزعم أن الإنسان نشأ من تطور آلي، وأصبح مبدأ داروين في أن البقاء للأصلح هو عقيدة الغرب الاحتلالي، فكما أنه في عالم الحيوانات ليس هناك مجال للأخلاق ولا للتراحم، وأن النوع الأقوى والأقدر على التكيف يبيد الأضعف والأعجز عن التكيف، فإنه من الطبيعي أن ينظر الغرب الاحتلالي لبقية شعوب الدنيا على أنه الأحق بثرواتها واحتلال بلادها.

وكما قال أحدهم: فإنه لا فارق أساسي بين مجموعة من الذئاب تهاجم ظبيًا، وبين مجموعة من الشباب تهاجم فتاةً فتغتصبها وتقتلها.

ولذا فإن التحرر الحقيقي ليس في الجبرية المادية الحتمية، ولكنه في التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

لأن المؤمن الذي يشهد أنه لا إله إلا الله، يتحرر من كل نزعة أو هوى أو ميل بشري أو طبقي أو حزبي أو قومي، ويسلم أمره لله المتعال المنزه عن الميل المستغني عن خلقه.

وكما ذكرت في الحلقة الأولى، فإنه لا معنى للعدل مع المادية الجبرية، التي لا تعرف حقًّا ولا باطلًا ولا ظالما ولا مظلومًا.

وكذلك فإن معنى الحياد معدوم فيها، لأن معنى الحياد هو التحرر من المؤثرات، وفي عقيدتهم أن كل ما في الكون حتى الأفكار والعواطف تنتجها المادة، وهي آثار من آثارها، فنظر القاضي ما هو إلا فعل من أفعال المادة القاهرة، لا استقلال له.

إذن فالله سبحانه هو الوحيد القادر على العدل المطلق، لأنه أعلم الموجودات، ولأنه سبحانه مستغن بذاته عمن سواه، وهو الفعال لما يريد. وبالتالي فإن شريعته المنزلة هي أعدل الشرائع.

إن الإسلام دين العدل، وهو يتناقض مع الظلم، وهذه مسألة مهمة جدًا، أود أن أفصل فيها قليلًا، لأن لها تعلقًا بأسباب ودوافع الإلحاد عند الكثيرين.

فالله سبحانه وتعالى وصف أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– بقوله: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: "يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا"[1].

والذين يبررون للظلم والظالمين هؤلاء بعيدون عن أحكام الإسلام ومنهجه، فسمعنا مثلًا من يدعو الأمة لعدم الجهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مدافعة المتسلط الخليع الفاسق الذي يزني على التلفاز كل يوم نصف ساعة.

إن قائل هذا القول ليس منحرفًا فقط عن أحكام الإسلام، ولكنه متجرد من إنسانيته، هذا يجب أن يرجع لبيت أبيه وأمه ليعلموه الأدب من جديد.

وبأمثال هؤلاء الساقطين تتسلط أمريكا وعملاؤها علينا، وتنتشر فتنة الإلحاد كانحراف مارق ردًا على انحراف فاسد.

وأكتفي بهذا القدر، وأترككم في أمان الله وحفظه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

[1] أخرجه مسلم.

معا إلى الله

الحلقة الثانية – الجزء الثاني

للشيخ أيمن الظواهري



بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

أيها الإخوة المسلمون في كل مكان السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد

وثاني لوازم المادية الإلحادية هو: **النسبية القيمية.**

أي نسبية وعدم ثبات القيم، فكل قيمة أو مبدأ أو عقيدة قابلة للتغير بتغير الأحوال والظروف، أو بالأحرى بتغيرات المادة التي أنتجت كل هذا.

وهذه سمة ظاهرة في الحضارة الغربية العلمانية، ومن أمثلتها تدمير الشعوب ونزع ثرواتها، الذي يعدونه أمرً مبررًا تمامًا، ولا يعدونه منافيًا للحضارة.

وما قامت به ألمانيا النازية من إبادة اليهود والغجر والعجزة والمعاقين أمر مقبول من أجل المصلحة.

التعليق:

شهدت ألمانيا النازيةُ عملية قتلٍ جماعيٍ واسعةَ النطاق. استهدفتِ المصابينَ بأمراضٍ مزمنةٍ وذوي الإعاقات والاحتياجات الخاصةِ من بينِ السكانِ الألمانِ وباقي دولِ المحورِ النازي وشملت الصغارَ والكبارَ، وقد أصدرَ المستشارُ الألمانيُ النازيُ أدولف هتلر أوامره السرية لبدءِ عمليةِ الإبادةِ، ومع بدايةِ الحربِ العالميةِ الثانيةِ وقعَ مرسومًا رئاسيًا يقننُ هذه العمليةَ بشكلٍ رسميٍ وذلك عام ألفٍ وتسعمئةٍ وتسعةٍ وثلاثين 1939، والمثيرُ للاشمئزازِ أنَّ من وُكِّلَ بهمُ الإشرافُ على هذه البرامجِ الإجراميةِ هم مجموعةٌ من الأطباءِ الذين من المفترضِ بهم علاجُ المرضى وإنقاذُ الأرواح ، وكان تبريرُ هذه الإبادةِ الجماعيةِ أقبحَ من الجريمةِ نفسِها، حيث قُتل مئاتُ الألوفِ من هذه الفئات المجتمعيةِ الضعيفةِ بدعوى أنهم غيرُ منتجينَ ويستهلكون مواردَ الدولةِ التي هي في أمسّ الحاجةِ لها خاصة في ظروفِ الحرب :

تصريح المؤرخ مايكل تريجينزا:

منذ سنة 1935 سعى هتلر لتبرير القضاء على المعوقين بإصدار قوانين حرب، المسألتان كانتا تسيران في مسارين متوازيين، وتبرير استعمال هذه القوانين هو أن المعاقين كانوا يستعملون مرافق واسعة في مؤسسات الدولة، وهي المرافق التي يمكن أن يستعملها جرحى الجيش الألماني، كما أن المعاقين يكلفون الدولة الكثير من الأموال، لكن لماذا كل هذه المصاريف؟

التعليق:

لم تكن دوافعُ الإبادةِ الجماعيةِ لهذه الشريحةِ المجتمعيةِ المستضعفةِ اقتصاديةً وعسكريةً فقط، بل كانت في الأساسِ دوافعَ إيديولوجيةً وفلسفيةً، تم من خلالها تهيئةُ المجتمعِ الغربيّ لهذا السلوكِ الدمويّ

الموغلِ في التوحشِ؛ وكانت نقطةُ الارتكازِ لهذه الجرائمِ المدمرةِ مبادئُ الفلسفةِ الداروينيةِ البقاءُ للأصلحِ والإبادةُ للأضعفِ وذلك لإنتاجِ مجتمعٍ أفضل.

تصريح المؤرخ مايكل تريجينزا:

الكل يجب أن يكون مؤهلا جسديا وعقليا، ولا يوجد مكان لغير الأصحاء، هذه ليست أفكار نازية، بل هي مستوحاة من إيدلوجيا تحسين الأجناس، التي ظهرت قبل هتلر بوقت طويل، قام فلاسفة نظرية تحسين الأجناس منذ 1920 وحتى قبل ذلك بتهيئة الأرضية لإبادة الأجناس الضعيفة، المسؤولون الصحيون الألمان كانوا فقط ينتظرون شخصا مثل هتلر لإنجاز هذه الخطط المثيرة، وذلك بالقضاء على أي شخص غير منتج؛ إن لم تكن قادرا على الإنجاز، وإن لم تكن قادرا على تقديم شيء للمجتمع، فليس لك الحق في العيش.

التعليق:

لم تكن إبادةُ المعاقين وتعقيمُهم وإبادةُ الأجناسِ الدنيا حسبَ التقييمِ الفلسفيِّ الغربيِّ مقتصرا على ألمانيا النازيةِ بل كانت معتقداتٌ سائدةٌ في كل دولِ الغربِ، كتب رئيسُ الوزراءِ البريطانيُّ الأسبقُ ونستون تشرشل"، في مذكراته:

"إن النموَّ الشاذَ، متزايدَ السرعةِ لطبقاتِ ضعافِ العقولِ والمتخلفين، والذي يصاحبُه كما نعرفُ تقييدٌ مطردٌ في نموِّ كلِّ السلالات القويةِ الرفيعةِ، يُشكّل خطرًا قوميًا وعرقيًا داهمًا على أوروبا، وإنني أعتقدُ أنه من الضروريِّ أن يوقف ذلك الرافدَ الذي يغذي نهرَ الجنونِ قبل مرورِ عامٍ وإلا أُصيبت أوروبا كلُّها بالجنونِ"

وجاءت أزمةُ كورونا لتعيدَ للأذهانِ أن هذه السياساتُ العنصريةُ الدمويةُ لازالت مسيطرةً على عقولِ ساسات وقادةِ الغربِ، اعتمدَ وريث ونستون تشرشل رئيسُ الوزراء البريطانيُّ الحاليُ بورس جونسون في مقاربتِه الأولى لمواجهةِ فيروسِ كورونا على مبدئِ مناعةِ القطيعِ وهي تسميةٌ تجميليةٌ للنظريات الفلسفيةِ الدارونيةِ المتجذرةِ في عقلِ الحضارةِ الغربيةِ الإبادةُ لضعفاءِ والبقاءُ للأصلحِ.

تصريح بورس جونسون:

من الواضح أن فايروس كورونا coivd -19 مستمر. وسيستمر في الانتشار في جميع أنحاء العالم وبلدنا خلال الأشهر القليلة المقبلة. إنه الآن وباء عالمي، وعدد الحالات سيزداد بشكل حاد، في الواقع العدد الحقيقي للحالات أعلى، وربما أعلى بكثير من عدد الحالات التي تأكدت بالاختبارات.

يجب أن أكون واضحا، ويجب علينا جميعا أن نكون كذلك، هذه أسوأ أزمة للصحة العامة خلال هذا الجيل، هذا المرض أكثر خطورة، وسينتشر أكثر، ولابد لي أن أشارك الحقيقة الصعبة معكم، ومع البريطانيين جميعا، المزيد من العائلات سيفقدون أحباءهم قبل وقتهم.

التعليق:

بل وشجعَ على انتشارِ الوباءِ ليقتلَ أكبرَ عددٍ من الفئاتِ الغيرِ منتجة

تصريح بورس جونسون

لازلت أصافح الجميع وقد زرت مستشفى الذي به مرضى بفايروس كورونا وقمت بمصافحة الجميع في ذلك المكان وسأواصل المصافحة،لأني أعتبر ذلك أمرا ضروريا.

التعليق:

أما ترمب الذي لا يهمه من كورونا إلا متى يعاد فتح الاقتصاد الأمريكي فلم يخف نظرياتِه العنصريةَ الدمويةَ في إفاداتِه الماراثونيةِ بالبيتِ الأبيضَ كان آخرُها اقتراحُه حقنَ المرضى بالموادِ المنظفةِ.

تصريح ترمب:

أرى أن المطهرات تقتل الفايروس في دقيقة، دقيقة واحدة! فهل هناك طريقة يمكننا من خلالها فعل شيء من هذا القبيل؟ عن طريق الحقن في الداخل أو التطهير؟ لأنه كما ترون الفايروس يصيب الرئتين ويؤذيها بشدة، لذلك سيكون من المثير للاهتمام، التحقق من ذلك، سيكون عليكم العودة للأطباء، لكن هذا الأمر يبدو لي مثيرا للاهتمام.

التعليق:

فالبشرُ في مفهومِ الحضارةِ الغربيةِ الماديةِ عبارةٌ عن أوانيَ متسخةٍ تُنظفُ لإعادةِ استعمالِها وتُرمى في الزبالةِ حالَ اليأسِ من تنظيفِها.

فإن كان هذا هو تعاملُ الغربِ مع الفئاتِ المستضعفةِ من بني جلدتِه فكيف كان تعامله مع باقي شعوب الغرب.

الشيخ أيمن الظواهري:

وقصف أمريكا لليابان بالقنابل الذرية، وقتلها لخمسة ملايين فيتنامي، أمر تبرره العقلية المادية الداروينية.

ومن قبل هذا إبادة المهاجرين الأنجلوساكسون البروتستانت للهنود الحمر في أمريكا، وإبادة ستالين للشعوب الإسلامية في الخانات التركية (التي أصبحت الجمهوريات السوفيتية الإسلامية). وكان عدد شعب التتار وحده يساوي عدد سكان روسيا، أما الآن فهو لا يكون سوى نسبة مئوية ضئيلة، وقد استمر النظام الستاليني في عمليات الإبادة المنهجية والمنظمة لأعدائه الطبقيين مثل الكولاك الذين قاوموا تحويل مزارعهم إلى مزارع جماعية، بل تم إبادة كثير من أعضاء الحزب الشيوعي ممن عارضوه. ويقدر عدد ضحايا العهد الستاليني ما بين عشرين إلى خمسين مليونًا، مات منهم اثنا عشر مليونًا على الأقل في معسكرات (السخرة)! وبعد حوالي نصف قرن جرت عمليات الإبادة والتطهير العرقي في البوسنة والهرسك والشيشان.

فإبادة الآخرين آلية متكررة استخدمتها الحضارة الغربية العلمانية، إلحاديةً شاملةً كانت أو تعطيليةً.

يقول الشيخ أسامة بن لادن –حفظه الله– في خطابه للشعب الأمريكي في سبتمبر 2007:

"إن أخلاق ثقافة المحرقة هي ثقافتكم، وليست ثقافتنا، بل إن تحريق الكائنات الحية محرم في ديننا، حتى وإن صغرت كالنمل. فما بالكم بالبشر؟ فمحرقة اليهود قام بها إخوانكم في وسط أوروبا، ولو كانت قريبة من بلادنا لنجا معظم اليهود باللجوء إلينا، ودليلي على ذلك؛ ما فعله إخوانكم الأسبان، عندما أقاموا محاكم التفتيش الرهيبة للمسلمين واليهود، فلم يجد أؤلئك اليهود ملاذًا آمنًا إلا باللجوء إلى بلادنا، ولذلك فإن الجالية اليهودية في المغرب هي من أكبر الجاليات في العالم، وهم أحياء عندنا، ولم نحرقهم، ولكننا قوم لا ننام على الضيم، نرفض الذل والهوان، ونثأر من أهل البغي والعدوان، ولن تذهب دماء المسلمين هدرًا، وإن غدًا قريب لمن انتظر. ثم إن إخوانكم النصارى يعيشون بيننا منذ أربعة عشر قرنًا، ففي مصر وحدها ملايين النصارى، لم نحرقهم، ولن نحرقهم".

وطرد أهل فلسطين وقتل مئات الآلاف منهم أمر مبرر في أخلاق الغربيين.

ومناداة وثائق الأمم المتحدة –التي أنشأتها القوى المنتصرة في الحرب العالمية الثانية– بالمساواة بين البشر، ومع ذلك تشرع لسيطرة خمسة من أقوى الدول عليها، أمر لا يرون فيه تناقضًا.

ومن أمثلة اللاقيمية تقنين وتسويغ الإباحية الجنسية والانحلال الخلقي بكل صوره.

حتى لقد صار تقنين الشذوذ الجنسي اليوم من علامات التقدم، بل ومن لوازمه.

وقد شهد بهذا الانحلال والانحطاط الخلقي والنفعية الدكتور عبد الوهاب المسيري شهادة الشاهد الخبير المعاين على رفاقه في الحزب الشيوعي، فقال في كتابه (رحلتي الفكرية– الجذور والبذور والثمار طبعة دار الشروق سنة 2005 ص: 134 و135):

"كنت قد بدأت ألاحظ أن السلوك الشخصي للرفاق كان متناقضًا مع أي نوع من أنواع المثاليات الدينية أو الإنسانية".

ثم يضيف: "والحريات الخلقية التي كانوا يسمحون لأنفسهم بها كانت كاملةً، أي أنهم في واقع الأمر كانوا شخصيات نيتشوية داروينية، لا علاقة لها بالماركسية ولا بأي منظومة أخلاقية، خاصةً أن بعضهم كانت ماركسيته تنبع من حقد طبقي أعمى، وليس من إيمان بضرورة إقامة العدل في الأرض. بل كثيرًا ما كنت أشعر أن بعضهم كان ماركسيًا بحكم وضعه الطبقي، وأنه لو سنحت الفرصة أمامه للفرار من طبقته والانضمام للطبقات المستغلة الظالمة لفعل دون تردد، وطلق ماركسيته طلاقًا بائنًا. لكل هذا قدمت استقالتي".

ويذكر أيضًا في ص: 138:

"وحينما كنت في الولايات المتحدة بدأ تشكيل ما يسمى "التنظيم الطليعي". [يقصد في الاتحاد الاشتراكي الذي أسسته حكومة عبد الناصر]. ويضيف: "ومن المؤسف أن معظم أعضاء هذا التنظيم الطليعي لم يكن عندهم أي التزام اشتراكي أو قومي. وقد استقر معظمهم في الولايات المتحدة، ولم يعودوا إلى الوطن ليساعدوا في بنائه".

وقد يجادل الملحد بأنكم أيضًا أيها المتدينون لديكم أصحاب فواحش وفضائح.

نعم، ولكن عقيدتنا تدينهم، أما عقيدتكم فتبرر لهم.

فإن قال: إنني ألتزم الأخلاق. تناقض أولًا، لأن المادية تنفي وجود أي قيم فوق المادة، ثم هو لا يستطيع أن ينكر أن غيره من الملحدين لا التزام عنده، ولا يملك أن يعترض عليه، لأن كلًا منهما عبارة عن كيان مادي تحركه القوانين الصماء.

***

ومن أظهر الأمثلة الشهيرة على هذه الميوعة الخلقية والقيمية؛ موقف الماديين من قضية فلسطين.

1- بدايةً أود أن أؤكد على حقيقة هامة لا يستطيع الملحدون أن ينكروها، وهي أن الأحزاب الشيوعية في مصر والشرق العربي أنشأها اليهود.

التعليق:

ولم يختلف الوضع كثيرا بالنسبة للحزب الشيوعي المغربي، جاء في جريدة الأمل L'ESPOIRE التابعة للحزب:

"نعم، إن الاتحاد السوفياتي على حق في الاعتراف بدولة إسرائيل، كما كان سيعترف في نفس الوقت بدولة فلسطين العربية لو أنها أنشئت طبقا لقرارات الأمم المتحدة".

وجاء فيها أيضا:

وبغض النظر عن كل الحسابات، يجب في النهاية -القبول- كرها أو إيجابا بأن مئات الآلاف من اليهود الذين يشكلون على الأرض الفلسطينية أمة قيد التكوين لهم الحق في وجود وطني خاص. وإنكار ذلك يعني إنكار حق الشعوب في تقرير مصيرها".

الشيخ أيمن الظواهري:

وهذه الأحزاب اتخذت موقفين كشفا عن حقيقة دوافعها:

الأول: هو تأييد الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ضد الألمان، وكان هؤلاء الحلفاء هم المحتلون الغزاة لبلاد المسلمين أي فرنسا وبريطانيا.

والثاني: أن هذه الأحزاب الشيوعية ذات القيادة اليهودية قد رفضت الحرب مع إسرائيل باعتبارها حربًا تقودها الرأسمالية العربية، وأن البديل هو اتحاد الطبقة العاملة العربية والإسرائيلية ضد الإمبريالية.

وهذه فضائح تاريخية موثقة، لا أرى داعيًا لسرد تفاصيلها.

2- وثانيًا: إن كل التيارات العلمانية -الشيوعي منها وغير الشيوعي- قد أعلنت قبولها لوجود إسرائيل، سواءً منها من كان يرفض سابقًا، أو يقبل.

فقضية فلسطين قد فضحت كل العلمانيين فيما أعلم. فكلهم يقبلون بوجود إسرائيل، ولكن النقاش فيما تبقى من فلسطين، وكان على رأس هؤلاء العلمانيين المضيعين لفلسطين؛ منظمة التحرير الفلسطينية، التي غيرت ميثاقها لتعترف بوجود إسرائيل.

لقد فضحت قضية فلسطين عقيدة العلمانيين وسلوكهم، فإن عقيدتهم التي لا تقبل أية مرجعية ثابتة، وتجعل كل شيء نسبيًا، سمحت لهم بأن يقبلوا بما كانوا يعتبرونه -أو يعتبره بعضهم- خيانةً.

بل وصرح الكثير منهم أن القيم نسبية، ولا يجب أن نتبع الأديان، التي تتجمد على عقائد معينة.

ولأن كل شيء نسبي فكل شيء معروض في السوق للبيع والشراء والمساومة؛ شرفك دينك عرضك أرضك مالك عيالك بل حتى نفسك، فلم تعد الأمانة والصدق والوفاء والإخلاص والشرف والأخلاق والدين لها معنىً محدد، بل كلها تتغير بحسب الهوى والرغبة والمصلحة.

وهذا الاستخذاء العلماني العربي يقابله التوحش والافتراس العلماني اليهودي الصليبي، فاليهود مثلاً بمتدينيهم وعلمانييهم يرون القدس عاصمةً أبديةً خالدةً لإسرائيل، ويعتبرون فلسطين هي (أرض إسرائيل)، ويصرون على بناء المستوطنات، ولا يقبلون بتاتًا بعودة المهاجرين الفلسطينيين.

معلق يهودي:

أحب أن أعرفكم بصديق، رجل الخليل، نوعام عرنون سيرحب بنا في مدينة آبائنا.

المستوطن الغاصب نوعام عرنون:

كل اليهود، من أي مجموعة عرقية والجمعات والتوجهات والألوان، كلهم يشعرون برابط مع جذورهم.

أصدقائي، استمروا في هذه المهمة، من خلا توعيتكم في كل فروعكم في كافة البلاد وفي العالم احملوا هذه الحقيقة، هذا الرابط، هذه المهمة، هذه القداسة.

الشيخ أيمن الظواهري:

ويستند الملحدون فيهم مع المتدينين في ذلك إلى العهد القديم المحرف، أي اتفق ملحدوهم ومتدينوهم على عقيدة دينية.

وقد يزعم البعض أن هناك من العلمانيين من يصر على قيام دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس، ويرى أن هذه من الثوابت التي لا يمكن التنازل عنها، ولكن من يزعم هذا يتناسى حقيقتين:

الأولى: أن العلماني الذي يقول هذا قد اعترف مسبقًا بإسرائيل، فالدولة الفلسطينية التي يدعو لها، هي دولة قرار التقسيم أو ما هو أقل منها، التي تقوم على ما تبقى من فلسطين، أو ما تسمح به إسرائيل.

والحقيقة الثانية التي يتجاهلها: أنه وأشكاله يؤمنون بأن كل شيء نسبي، إذاً فممكن أن ينقلبوا من الشيء لضده، لأنهم يؤمنون بانعدام الثوابت في الكون.

وعن هذه الميوعة العقيدة، والتدني السلوكي للعلمانيين في قضية فلسطين يقول الدكتور المسيري –رحمه الله– في كتابه (رحلتي الفكرية) ص: 204:

"وقد حضرت ندوةً عقدت ضد التطبيع حضرها ممثلو الأحزاب المصرية، بما في ذلك اليساريون، الذين قدموا ورقةً عن الهوية المصرية، قالوا: إنها كانت فرعونيةً ثم قبطيةً ثم عربيةً ثم حديثةً!. وقولهم هذا يؤكد الصيرورة المستمرة، بل وتنتهي الهوية بشيء عام لا لون ولا طعم ولا رائحة له، يسمى "حديثةً". فأشرت إلى أنه مع هذه التغيرات المذهلة لم لا نتصور تحول هذه الهوية إلى هوية شرق أوسطية، كما ينادي الصهاينة! أليست كل الأمور نسبيةً؟ أليست كل الأمور متساويةً؟".

وهناك بعد آخر لانهزامية كثير من العلمانيين العرب، وهو اتصالهم بإسرائيل وتشجيعهم للتطبيع معها. ومن هؤلاء من يعدهم جميع العلمانيين –سواءً دعاة التطبيع أو مقاوموه– من رموز الفكر ورواد التنوير وأعلام التقدم..... إلخ.

وعلى رأس هؤلاء يأتي نجيب محفوظ، الذي حاز جائزة نوبل لتعرضه للإسلام وللذات الإلهية ولتشجيعه التطبيع مع إسرائيل، حتى أن موشيه ساسون أول سفير لإسرائيل في مصر ذكره في كتابه عن سفارته في مصر، وقال إنه كان من أصدقائه، وأنه كان ينتقد من يعارضون التطبيع، ويقول إنهم يفعلون ذلك بسبب حاجتهم للمال.

وقد صرح نجيب محفوظ مبكراً بتشجيعه للسلام مع إسرائيل والتفاوض معها في أعقاب نكسة ألف وتسعمائة وسبعة وستين.

وأما توفيق الحكيم فكان يتلقى أموالًا من عائدات بيع كتبه في إسرائيل.

وهذا التوجه من كثير من اللادينيين على اختلاف أهوائهم للتكالب على فتات أمريكا والتطبيع مع إسرائيل ظاهرة رصدها العديدون، منهم الدكتور المسيري –رحمه الله– كما سيأتي إن شاء الله.

***

وثالث لوازم المادية هو ما يسمونه ما بعد الحداثة أو فلسفة العبث.

وهي فلسفة ارتبطت بظهور ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، وهي جوهره النظري والعقدي.

وقد ذكرت –آنفًا– أن النسبية القيمية كانت أداة الاستكبار العالمي في إبادة الشعوب الأخرى، ولكن بدأ أكابر المستكبرين، يتحولون من الخطاب الاستكباري، إلى خطاب أحدث، خطاب النظام العالمي الجديد، خطاب العولمة الشاملة، التي تسقط الحدود، وتزيل السدود، وتدول المعرفة، وتنشر الديمقراطية والحرية بزعمهم. وتبسط الشرعية الدولية وما أسموه حقوق الإنسان، وسر هذا التحول أن الغرب المستكبر اكتشف أنه لا طاقة له بالاستمرار في الأساليب القديمة، وخاصةً مع تزايد معدلات استهلاكه، وتصاعد المقاومة لسياساته في العالم الثالث عامةً، وصعود الجهاد كقيم وممارسة في العالم الإسلامي خاصةً، فتغير الغرب من أسلوب المصادمة لأسلوب الإغواء، ولكنه اكتشف أن هذا الأسلوب لا يصلح مع الشعوب التي لها قيم متماسكة، وخاصةً مع المسلمين، الذين يدعوهم دينهم للجهاد ضد الظلم والطغيان.

فاتخذ أسلوب تمييع العقائد، وتذويب الفوارق، فالعالم كله يجب أن تحكمه شريعة واحدة (الشرعية الدولية)، ويتحول لسوق واحدة، وتختفي الفروق، ويتصل الجميع ببعضهم عبر الشبكة الدولية والتواصل الاجتماعي، والإعلام الفضائي.

ولا تصبح هناك أية قيمة يسعى لها الإنسان إلا مصالحه الضيقة.وهذا الكلام المخادع لا بد له من فلسفة تبرره، وهي ما يصفه دعاة ما بعد الحداثة بأنهم دخلوا عصر ما بعد الأيديولوجيا وما بعد الحداثة وما بعد التاريخ بل ما بعد الإنسان؛ وأن فكرهم في حالة من السيولة، لا علاقة ثابتة فيه للدال بأية مدلولات أو كليات، أي من الممكن أن يكون إنكار كل القيم هو القيمة الكبرى والنهائية.

وفي النظام الإمبريالي الجديد (عصر السيولة– عصر الاستهلاكية العالمية)، يجب أن يستهلك فيه العالم جميعه، وليس الغرب فقط، ولذا لا مجال للتنمية المستقلة، بل يتحول العالم إلى حالة المصنع والسوبر ماركت، والفقراء في صحارينا وقرانا –الذين لا يحتاجون للهامبرجر ولا للهواتف الذكية– يجب أن يتقدموا بالقدر الكافي، ويخضعوا لإغراء الإعلام بشهواته، وتتزايد ديونهم لتظلهم مظلة البنك الدولي وصندوق النقد.

وعن طريق تصعيد الرغبات الاستهلاكية وإثارة الشهوات، لا يمكن للفقراء تحقيق أي تراكم في رؤوس الاموال، وتختفي الرغبة في السمو وفي الجهاد.

وتظهر (اللامعيارية) كجوهر ولب النظام العالمي الجديد وما بعد الحداثة.

وهكذا بدء اللادينيون حربهم على الكنيسة باسم العقل فانتهوا لتغييب العقل.

وذلك أنه في نمو القوة الاستكبارية الغربية طمح العقل المادي لأن يولد الإنسان المعيارية إما من عقله أو من الطبيعة/المادة. ومن خلال التطور يكتشف الإنسان أن عقله بدون مرجعية يدور حول ذاته ويقدس القوة، وأن الطبيعة/المادة هي حركة بلا غاية أو هدف، ومن ثم لا تصلح مصدرًا للمعيارية. ومن ثم يتم الانتقال من العقلانية المادية إلى اللاعقلانية المادية ومن التحديث والحداثة إلى ما بعد الحداثة، واللامعيارية هي جوهر ما بعد الحداثة.

وهذا ما وقع فيه ما يسمون أنفسهم فلاسفة ما بعد الحداثة، الذين يؤمنون بغياب المرجعية وهيمنة القوة وسيطرة الصيرورة دون الاستناد إلى مرجعية ما ومعيارية ما ومعرفة بعالم عادل فيه كليات ثابتة، وهنا يأتي السؤال: لماذا يكتبون وهم يعرفون أنهم لن يصلوا إلى شيء؟ لماذا لا يغرقون في الملذات والشهوات؟ لأن كل شيء زائل بلا هدف وعبث في عبث؟ الجواب: إن عبثهم الفكري ليس لطلب الحقيقة ولكن لتبرير الغرق في الشهوات.

وهذه هي آخر الحلقات في سلسلة المادية الغربية المنفصلة عن القيمة في غياب الدين.

***

وأكتفي بهذا القدر، في الرد الموجز المبسط على الملحدين النفاة، وقد يكون فيه بعض الجفاف النظري، ولذا فإني في الحلقة القادمة –إن شاء الله– سأوضحه أكثر باستعراض اقتبسات لأقوال كتاب مشاهير، عادوا من الإلحاد للإسلام. وأترككم في أمان الله وحفظه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.